

106441 - هجرت صاحباتها فأثر ذلك على دينها ، وصايا ونصائح

السؤال

عندي مشكلة ، لا أستطيع أن أتخذ فيها قراراً ، لكن القرار لا بد أن يكون خلال هذه الأيام ، لدي صحبة ، أحسبها والله حسيبها أنها صالحة ، أنا فتاة عمري 22 سنة ، منذ 4 سنوات ماضية تعرفت عليهن منذ دخول الجامعة ، نتعاون على الخير ، حفظنا سوية 15 جزءاً من كتاب الله ، حررنا مجلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من رائعة ، وقفن معي في وجه عاصفة رهيبة شنها علي المحيط بأجمعه في الجامعة التي نحن فيها ، لدينا حلقة يومية نتدارس فيها كتاب الله !! لكن المشكلة هي أنني لم أعد أطيقهن ، أشعر أنهن أمامي بوجه ، ومن خلفي بوجه آخر ، بعض المواقف السخيفة ولدت هذه الأفكار لدي ، منعت اتصالي بهن ، أو لقاءهن ، واعتذرت لهن عن ذلك ، جعلت حديثنا على البريد فقط ، بكلمات بسيطة : كيف الحال ، الحمد لله ، انتهى ، أما الحفظ ، والذكر ، والمشاريع الباقية : كلها أوقفتها ، كرهتهن بمعنى الكلمة - والله - إلى الآن لم أكمل حفظي ، وعندي فتور رهيب في العبادة ، ولا قيام ، ولا صيام ، ولا أدري أهو شيطان حل بداخلي أم ماذا ؟ هنَّ يردن الآن أن نقر ما الذي أريده لأنني قررت أن أنعزل عن البشر كلهم ، أصبحت حقودة ، حسودة ، قلبي أشد سواداً من الليل ، وكله لأنني أشعر أن صحبتي هذه فيهن قليل من التعلق المنبوذ بالدنيا ، مظاهر ، وما إلى ذلك من أشياء البنات ، ماذا أفعل ؟ حتى رسائل التذكير منهن تحديداً لا أقبلها ، والله أنني أمسحها من قبل أن أقرأها ! . أخشى أن أقول لهن إنني سأتركهن للأبد فأنكت سواداً في قلوبهن ؛ لأنهن جعلني قدوة ، بعضهن يحلف بالله أن لولا الله ثم أنا ما كنَّ يؤدين الصلاة بالمرة ، وصلاة الليل ، وإفطار يوم وصيام يوم ، والحفظ ، والتسميع ، والجوال لإيقاظ بعضنا لصلاة الفجر ، والقيام ، لكن قلبي أصبح يكرههن كرهاً حقيقياً ، أعلم أنه من الشيطان ، لكن والله ما قدرت أدفعه ، كيف أعيش معهم ، أضغط على نفسي ، وأترك مشاريع العزلة ، وأعود ، رسائلهن قتلتنني من شدة الإلحاح علي بالعودة ، ويسألنني بالله أن أرد ، حتى دراستي أشعر أنهن أثرن علي ، وأي مصيبة تصيبني أقول : هذا عذاب من ربي ؛ لأنني فعلت لفلانة كذا ، ما أبغي أحس أن ربي يفضل أحداً علي ، ليس في الدنيا ، لكن في كل شيء ، أظن عذابي أشد من عذاب الرسل ؛ لأن الرسول يعلم يقيناً أن الله يحبه ، وأن الله معه ، أما أنا : أخشى أن عذاب ربي قد حلَّ بي ، لأي سبب ؟ لا أعرفه ، أعتزلهن أم أعود ؟ ماذا أقول لهن ؟ من يقع في مشكلة يراها كبيرة ولا يعلم أين المخرج ، أرشدني بخبرتك لأنني سأتوكل على ربي ، ثم سأخذ مشورتك . جزيت الجنة .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لا شك أن ما تشعرين به - يا أمة الله - تجاه أخواتك إنما هو بسبب الشيطان ، ومكره ، وكيد ، ولم يحدث من هؤلاء الأخوات - على حسب ما جاء في رسالتك - ما يجيز لك تلك التصرفات معهن ، بل لو وقع منهم بعض الخطأ أو التقصير والذنب ، فكل الناس كذلك ، ومن ذا الذي ما ساء قط ؟!!

وهو يدل على أن الأمر محض مكيدة من الشيطان ليوقعك فيما وصل حالك إليه ، ونأسف أنه نجح في هذا ، فبغض إليك تلك الصلبة ، فحصل الفتور في الطاعة والعبادة .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) النور/ 21 .

واعلمي أن من خطوات الشيطان التي يسلكها مع الطائعين ربهم تعالى :

1. التحريش بين المسلمين ، وبالأخص بين الصلبة الصالحة .

عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم (2812)

قال النووي - رحمه الله - :

هذا الحديث من معجزات النبوة ، ... ، ومعناه : أيس أن يعبد أهل جزيرة العرب ، ولكنه سعى في التحريش بينهم ، بالخصومات ، والشحناء ، والحروب ، والفتن ، ونحوها .

" شرح مسلم " (17 / 156) .

2. أن يبغض إليهم الصلبة الصالحة ، ويحبب إليهم العزلة الضارة .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ الْقَاصِيَةَ) .

رواه أبو داود (547) والنسائي (847) ، وحسنه الألباني في " صحيح أبي داود " .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذَنْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالشَّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ) .

القاصية : المنفردة عن القطيع البعيدة عنه

رواه أحمد (22029) ، وحسنه محققو المسند .

قال المناوي - رحمه الله - :

(إن الشيطان ذنب الإنسان كذنب الغنم) أي : مُفسد للإنسان ، أي : بإغوائه ، ومُهلك له ، كذنب أرسل في قطع من الغنم .

(يأخذ الشاة القاصية) أي : البعيدة عن صواحباتها ، ... وهو تمثيل ، مثل حالة مفارقة الجماعة ، واعتزاله عنهم ، ثم تسلط

الشيطان عليه : بحالة شاة شاذة عن الغنم ، ثم افتراس الذنب إياها بسبب انقطاعها ، ووصف الشاة بصفات ثلاث : فالشاة

هي النافرة ، والقاصية هي التي قصدت البعد لا عن تنفير ، (والناحية) بحاء مهملة التي غفل عنها ، وبقيت في جانب منها ؛

فإن الناحية هي التي صارت من ناحية الأرض .

ولما انتهى التمثيل حذر فقال : (وإياكم والشعاب) أي : احذروا التفرق ، والاختلاف .
(وعليكم بالجماعة) تقرير بعد تقرير ، وتأکید بعد تأکید ، أي : الزموها ، وكونوا مع السواد الأعظم ؛ فان من شدَّ شدَّ إلى النار .

(والعامه) أي : السواد الأعظم من المؤمنين .

(والمسجد) أي : لزومه ؛ فإنه مجمع الأخيار ، وموطن الأبرار ، وأحب البقاع إلى الله تعالى ، ومنه ينفر الشيطان .
" فيض القدير " (2 / 350) .

فاحرصي على إغلاق الطريقين أمام الشيطان ، ولا تفتحي على نفسك أبواباً من الشر ، ولم يصبك الفتور ، وقلة العزم على الطاعة إلا بعد أن تمكن الشيطان من السير بك على الطرق التي أرادها لك ، ولعلَّ نظرة لحالك الآن مع مقارنة بحالك من قبل أن يتبين لك أن الأمر مكيدة ومكر من الشيطان ، فاحذري ، وتنبهي .

والصحة الصالحة من أعظم ما يثبت المسلم على دينه ، فاجتهدي في إقامتها على شرع الله تعالى .
عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَكَ أَصَابِعُهُ .
رواه البخاري (467) ومسلم (2585) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " عليك بإخوان الصدق ؛ فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء " .
واحرصي على الطاعات والأعمال الصالحة ، فهي خير زاد للثبات ، كما قال تعالى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) إبراهيم/ 27 ، وقال عز وجل : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا) النساء/ 66 .

واحرصي على المداومة على الدعاء ، والتضرع إلى الله تعالى أن يثبتك على دينه ، وأن يزيدك هدى وتوفيقاً وصلاً ، فهكذا كان حال المؤمنين ، كما حكى الله تعالى عن حالهم ، في قوله سبحانه وتعالى : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) آل عمران/ 8 .

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) .
رواه الترمذي (2140) وابن ماجه (3834) ، وصححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

ولإصلاح ما بينك وبينهم لا يحتاج الأمر لكثير عناء ، فأرجعي تلك العلاقة الطيبة بالرد على رسائلهن ، ومكالمتهن ، وأخبريهن أنك مررت بظروف خاصة ، ولا داعي لذكر تفصيلاتها ، يكفي أن تكون درساً لك لمستقبل الأيام .
ثانياً :

احذري أشد الحذر من العزلة والانفراد ، فهما بداية الانحدار والسقوط للهاوية ، ولو كانت عزلتك عزلة عبادة وطاعة لكان لها وجه من الشرع ، أما تلك العزلة التي تؤدي إلى الفتور ؛ فهي عزلة محرمة ، وتصير خلطتك مع صاحبائك واجبة ، فتنبهي لهذا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

وأما قوله " هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة " : فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إمّا نزاعاً كلياً ، وإمّا حالياً ،

فحقيقة الأمر : أن الخلطة تارة تكون واجبة ، أو مستحبة ، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة ، وبالإفراد تارة ، وجماع ذلك : أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى : فهي مأمور بها ، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان : فهي منهي عنها ، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك : هو مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الاختلاط بهم في الحج ، وفي غزو الكفار ، والخوارج المارقين ، وإن كان أئمة ذلك فجاراً ، وإن كان في تلك الجماعات فجاراً .

وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانا : إما لانتفاعه به ، وإما لنفعه له ، ونحو ذلك .

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه ، وذكره ، وصلاته ، وتفكره ، ومحاسبة نفسه ، وإصلاح قلبه ، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره ؛ فهذه يحتاج فيها إلى إنفراده بنفسه ، إما في بيته - كما قال طاووس " نِعْم صومعة الرجل بيته ، يكف فيها بصره ولسانه " - وإما في غير بيته .

فاختيار المخالطة مطلقا : خطأ ، واختيار الانفراد مطلقا : خطأ ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا ، وهذا ، وما هو الأصلح له في كل حال : فهذا يحتاج إلى نظر خاص - كما تقدم - .

" مجموع الفتاوى " (10 / 425 ، 426) .

ولتعليمي - يا أمة الله - أن البلايا التي نزلت بقلبك : من الحقد والحسد ، هي كلها ، مع حالك هذه حلقة واحدة ؛ فإن من ثواب الحسنة : الحسنة بعدها ، ومن عقاب السيئة : السيئة بعدها .

لو كنت عاقلة للأمر كما ينبغي لعلمت أن الله تعالى أعلم بخلقه ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، بعلمه في خلقه سبحانه ، وحكمته التي أرادها لهم :

قال الله تعالى : (أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (الاسراء:21) وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (الأنعام:53) . قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : " أي: هذا من ابتلاء الله لعباده ، حيث جعل بعضهم غنيا ؛ وبعضهم فقيرا ، وبعضهم شريفا ، وبعضهم وضيعا ، فإذا مَنَّ الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع ؛. كان ذلك محل محنة للغني والشریف ، فإن كان قصده الحق واتباعه ، آمن وأسلم ، ولم يمنعه من ذلك مشاركته الذي يراه دونه بالغنى أو الشرف ، وإن لم يكن صادقا في طلب الحق ، كانت هذه عقبة ترده عن اتباع الحق ؛ وقالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم: **أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا** ؛ فمنعهم هذا من اتباع الحق ، لعدم زكائهم . قال الله مجيبا لكلامهم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هؤلاء ، وعدم هدايتهم هم. **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** الذين يعرفون النعمة ، ويقرون بها ، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح ، فيضع فضله ومنته عليهم ، دون من ليس بشاكر ، فإن الله تعالى حكيم ، لا يضع فضله عند من ليس له بأهل ، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف ، بخلاف من مَنَّ الله عليهم بالإيمان ، من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون . " تفسير السعدي (258) .

لقد كان الواجب عليك - يا أمة الله - أن تسارعي في فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وأن تسبقي الناس إلى ذلك ، كما قال رب العالمين : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة / 48 .

قال الحسن البصري رحمه الله : " نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره " .

وأما أن تقعدى عن الخيرات ، وتشغلي قلبك بالأمراض ، ونفسك بالسوآت ، فليس هذا من فعل العقلاء في شيء .
نسأل الله تعالى أن يهديك لما يحب ويرضى ، وأن يصلح بالك وحالك ، وأن يثبت قلبك على الإيمان والطاعة ، ونرجو أن
تعملي بما ذكرنا لك من الرجوع عن مقاطعتك لأخواتك ، ومن الحرص على تلك الصحبة الطيبة ، ومن إبعاد كيد الشيطان
ووسوسته عنك ، ونرجو الله أن يوفقك للعمل بذلك .

والله أعلم